

## سورة الحديد

هذه السورة مدنية ، وعدة آياتها تسع وعشرون ، نزلت بعد الزلزلة .  
ووجه مناسبتها لما قبلها .

- (١) إن هذه بدئت بالتسبيح ، وتلك ختمت به .  
(٢) إن أول هذه واقع موقع العلة لآخر ما قبلها من الأمر بالتسبيح فكانه قيل :  
سبح باسم ربك العظيم ، لأنه سبحانه له مافي السموات والأرض .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١)  
لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢)  
هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)  
هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ،  
يَعْلَمُ مَا يَدْبِحُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ  
فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) لَهُ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ  
وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٦)

## شرح المفردات

جاء في الكتاب الكريم سَبَّحَ وَيَسْبِحُ وَسَبَّحٌ وَيُقَالُ : سَبَّحْتَهُ وَسَبَّحْتُ لَهُ  
كَمَا يُقَالُ نَصَّحْتَهُ وَنَصَّحْتُ لَهُ ، وَتَسْبِيحُ الْعُقْلَاءِ أَنْ يَقُولُوا مَا يَدُلُّ عَلَى تَنْزِيهِهِ مِنْ كُلِّ

نقص ، وإبعاده عما لا يليق به من صفات المحدثات ، كإثبات شريك له أو ند ،  
وكون الملائكة بنات له ، وكون عيسى ابناً له ، وتسليح غيرهم دلالة وجوده على  
عظم خالقه ، وانقياده له في كل آن .

وما مثل هذا إلا مثل إشارتك لصاحبك على وضع خاص يفهم منها تأن واصبر ،  
وإشارتك له على هيئة أخرى يفهم منها أنك لاتفعل هذا .

فهذه الدلالة في الحالين أفهمت صاحبك إيفاماً كإفهام الكلام ، بل أقوى  
وأبلغ أثراً ، وكم للإنسان في حركاته من معاني يفهمها الآخرون بطريق لالبس فيها .

وإذا كان هذا حال الإنسان المحدود العلم والإدراك ، فما بالك بما أطلعنا الله عليه  
من بدائع العلم والحكمة ، وقد فهمنا منها ما لانفهم بالقول ، فلو أنك وقفت

في الخلوات ، وراقبت المزارع والجنات ، والأشجار مترنحات ، وأنواع الكلا  
متحركات ، والأوراق تغنى بموزون الأصوات ، وقد أرخى الليل سدوله ، وأرسل

من الخافقين جحافل جنوده ، تلمع من بينها السكواكب ، فتضيء من بينها السبابس  
لتجلى لك العبر ، وقرأت علوم المبتدئ والخبير ، ولعلمت أنها تحت قبضة ذى الملك

والملكوت ، الحى الذى لا يموت ، الفرد الصمد ، المتزّه عن الصاحبة والولد ، سُبُوْح  
قُدُّوس ، رب الملائكة والروح ، العزيز أى الذى لا ينازعه فى ملكه شيء ،

الحكيم : أى الذى يفعل أفعاله وفق الحكمة والصواب ، يحيى ويميت : أى يحيى  
النطف فيجعلها أشخاصاً عقلاء فاهمين ناطقين ، ويميت الأحياء ، وهو على كل من

الإحياء والإماتة قدير ، وهو الأول : أى السابق على سائر الموجودات ، والآخر :  
أى الباقى بعد فنائها ، والظاهر والباطن : أى وهو الذى ظهرت دلائل وجوده

وتكاثرت ، وخفيت عنا ذاته فلم ترها العيون ، فهو ظاهر بآثاره وأفعاله ، وناطق  
بذاته ، ومشرق بجماله وكاله ، وهو ظاهر بغلبته على مخلوقاته وتسخيرها لإرادته ،

وباطن بعلمه بما خفى منها فلا تخفى عليه خافية ، والمراد بستة الأيام ستة الأطوار ،

كما تقدم ذلك فى سورة الأعراف ، والاستواء على العرش تقدم تفسيره فى سورتى يونس وهود ، يلج فى الأرض : أى يدخل فيها من كنوز ومعادن وبنور ، وما يخرج منها : كالزرع والمعادن لمنفعة الناس ، وما ينزل من السماء : كالمطر والملائكة ونحوهما ، وما يعرج فيها : كالأبجرة المتصاعدة والأعمال والدعوات ، يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل تقدم تفسير هذا فيما تقدم ، ذات الصدور : أى مكنونات النفوس فهو العليم بالسرائر .

## الإيضاح

(سبح لله ما فى السموات والأرض) أى إن مادونه من خلقه ينزهه عن كل نقص تعظيماً له وإقراراً برؤيته ، وإذعاناً لطاعته كما قال : « تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ، وَلَكِنْ لَا تَقْتَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا » .

(وهو العزيز الحكيم) أى وهو القادر الغالب الذى لا ينازعه شىء ، الحكيم فى تدبير أمور خلقه ، وتصريفها فيما شاء وأحب .

(له ملك السموات والأرض) أى له التصرف والسلطان فيهما ، وهو نافذ الأمر ، ماضى الحكم ، فلا شىء فيهن يمتنع منه .

(يحيى ويميت) أى يحيى ما يشاء من الخلق كيف شاء ، فيحدث من النطفة الميئة حيواناً يفتح فيه الروح ، ويميت ما يشاء من الأحياء بعد بلوغ أجله .

(وهو على كل شىء قدير) أى وهو ذو قدرة لا يتعذر عليه شىء أراده من إحياء وإماتة ، وإعزاز وإذلال إلى نحو أولئك .

(هو الأول والآخر) أى هو الأول قبل كل شىء بغير حد كما جاء فى الحديث القدسى « كنت كنزاً مخفياً ، فأردت أن أعرف فخلقت الخلق فى عرفونى » .

وهو الآخر بعد كل شيء بغير نهاية كما قال : « كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ » .  
 (والظاهر والباطن) أى وهو العالى فوق كل شيء فلا شيء أعلى منه ،  
 وهو الباطن بذاته فلا تحوم حوله الظنون ، فهو ظاهر بآثاره وأفعاله ، وباطن بعماله  
 فيما بطن وخفى ، فلا شيء إليه أقرب من شيء كما قال : « وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ  
 حَبْلِ الْوَرِيدِ » .

(وهو بكل شيء عليم) أى وهو ذو علم تام بكل شيء ، فلا يخفى عليه شيء  
 ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر .  
 (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) أى  
 هو الذى أنشأ السموات السبع والأرضين ، فدرهن وما فيهن فى ستة أطوار مختلفات  
 ثم استوى على عرشه فارتفع عليه .

(يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها) أى يعلم ما يدخل فى الأرض من خلقه ،  
 فلا تخفى عليه خافية منه ، وما يخرج منها من نبات وزرع وثمار ومعادن كما قال :  
 « وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ ، وَمَا تَسْقُطُ  
 مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ، وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا  
 فِي كِتَابٍ مَبِينٍ » .

(وما ينزل من السماء) من شيء كالمطر والملائكة .

(وما يرج فيها) أى وما يصعد إليها من الأرض كالأبخرة المتصاعدة والأعمال  
 الصالحة كما قال : « إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ » .

(وهو معكم أينما كنتم) أى وهو مطلع على أعمالكم أينما كنتم ، ويعلم  
 مستقبلكم ومثواكم .

(والله بما تعملون بصير) أى وهو رقيب عليكم ، سميع لكلامكم ، يعلم سركم  
 ونجواكم كما قال : « سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَمَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ

مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ» وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل لما سأله عن الإحسان «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .

وقال عمر : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « زودنى حكمة أعيش بها ، فقال : استمع الله كما تستحي رجلا من صالحى عشيرتك لا يفارقك » . وكان الإمام أحمد كثيرا ما ينشد هذين البيتين :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوتُ ولكن قل على رقيب  
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تُخفى عليه يغيب

(له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور) أى هو المالك لما فيهما ، والمدير لأمرها ، والنافذ حكمه فيهما ، وإليه مصير جميع خلقه ، فيقضى بينهم بحكمه كما قال « وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى » وقال : « وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » .

(يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أى يقلب الليل والنهار ويقدرهما بحكمته كما يشاء ؛ فتارة يطول الليل ويقصر النهار والعكس بالعكس ، وتارة يتركهما معتدلين ، وحينئذ يجعل الفصل شتاء أو ربيعا أو قيفا أو خريفا ، وكل ذلك بتقديره وفائدة خلقه .

(وهو علم بذات الصدور) أى وهو علم بالسرائر وإن دقت وخفيت ، فهو يعلم نوايا خلقه كما يعلم ظواهر أعمالهم من خير أو شر .

وفى ذلك حث لنا على النظر والتأمل ثم الشكر على ما أولى وأنعم .

آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ، فَالَّذِينَ  
آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) وَمَالِكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٩) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلْ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكَلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٠) مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١١)

### شرح المفردات

مستخافين فيه : أى جعلكم سبحانه خلفاء عنه فى التصرف من غير أن تملكوه ، أخذ الميثاق : نصب الأدلة فى الأنفس والآفاق والتسكين من النظر فيها ، والآيات البينات : هى القرآن ، والفتح : هو فتح مكة ، والحسنى : أى المثوبة الحسنى ، وهى النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة ، يقرض الله : أى ينفق ماله فى سبيله رجاء ثوابه .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه أنواعا من الأدلة تثبت وحدانيته وعلمه وقدرته ببيان أن كل ما فى السموات والأرض فهو فى قبضته يصرفه كما يشاء على ما تقتضيه حكمة ، ثم ذكر أنواعا من الظواهر فى الأنفس ترشد إلى هذا وأوما إلى النظر والتأمل فيها ، أعقب هذا بذكر التكليف الدينية ، فأمر بدوام الإيمان الكامل الذى له آثاره العملية من إحيات النفس لله وإخلاص العمل له ، وترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن

ثم طلب إنفاق المال في سبيله ، وأبان أن المال عارية مستردّة فهو ملك الله وأنتم خلفاؤه في تشميره في الوجوه التي فيها خير لكم ولأمّتكم ولدينكم ، ولكم على ذلك الأجر الجزيل الذي يضاعفه إلى سبعمائة ضعف ، ثم حث على ذلك بأن جعل هذا صفوة دعوة الرسول ، وقد أخذ عليهم العهد به ، وآيات كتابه هادية لكم تخرجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، والله رؤوف بكم إذ أنقذكم من هاوية الشرك وهداكم إلى طاعته ، ثم ذكر فضل السابقين الأولين الذين أسلموا قبل فتح مكة ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم في إعلاء كلمة الله حين عز النصير وقلّ المعين ، فيؤثّون ولا يستمّون مع من فعل ذلك بعد الفتح وبعد أن دخل الناس في دين الله أفواجا ، وهؤلاء وأولئك لهم المثوبة الحسنى والأجر الكريم عند ربهم ؛ ثم حث على الإنفاق مرة أخرى وسماه قرضاله ، وأنه سيرد هذا القرض ويجازى به أجمل الأجر يوم تبيض وجوه وتسود وجوه .

## الإيضاح

( آمنوا بالله ورسوله ) أي أقروا بوحداية الله وصدقوا رسوله فيما جاءكم به عن ربكم - تناولوا الفوز برضوانه ، وتدخلوا فراديس جناته ، وتسمدوا بما لم يدر لكم بخلد ، ولم يخطر لكم ببال .

( وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ) أي وأنفقوا بما هو معكم من المال على سبيل العارية ، فإنه قد كان في أيدي من قبلكم ثم صار إليكم ، واستعملوه في طاعته وإلا حاسبكم على ذلك حسابا عسيرا ، والله درّ لبيد إذ يقول :

وما المالُ والأهلونَ إلا ودائعٌ ولا بد يوماً أن تُردَّ الودائعُ

وفي هذا ترغيب أيما ترغيب في الإنفاق ، لأن من علم أن المال لم يبق لمن قبله وانتقل إليه - علم أنه لا يدوم له بل ينتقل إلى غيره ، وبذا يسهل عليه إنفاقه . قال شعبة : سمعت عن قتادة يحدث عن مطرف بن عبيد الله عن أبيه قال :

« انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « أَهْلَاكُمْ التَّكَاثُرُ » .  
يقول ابن آدم مالى مالى ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفانيت ، أو لبست  
فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟ وما سوى ذلك فذاهب وتاركة للناس » رواه مسلم .

ثم حث على ما تقدم من الإيمان والإنفاق في سبيل الله فقال :

( فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ) أى والذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله  
منكم ، وأنفقوا مما خوَّهم الله عن قبلهم - في سبيل الله ، لهم الثواب العظيم عند  
ربهم ، وهناك يرون من الكرامة والثبوة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ،  
ولا خطر على قلب بشر .

ثم ونحهم على ترك الإيمان الذى أمروا به ، وأبان أنه ليس لهم فى ذلك من  
عذر فقال :

( وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ؟ ) أى وأى شئ  
يمنعكم من الإيمان والرسول بين أظهركم يدعوكم إلى ذلك ويبين لكم الحجج  
والبراهين على صحة ما جاءكم به ؟

روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً لأصحابه : « أى المؤمنين  
أعجب إليكم إيماناً ؟ قالوا الملائكة ، قال : وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم ، قالوا  
فالأنبياء ، قال : وما لهم لا يؤمنون والوحى ينزل عليهم ، قالوا فنحن : قال : وما لكم  
لا تؤمنون وأنا بين أظهركم ؟ ولكن أعجب المؤمنين إيماناً قوم يجيئون بعدكم يجحدون  
صحفاً يؤمنون بما فيها » .

( وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين ) أى وقد أخذ الله عليكم الميثاق بما نصب  
لكم من الأدلة على وحدانيته فى الكون ، أرضه وسماؤه ، برّه وبحرّه ، وفى الأنفس  
بما شاهدون فيها من بديع صنعها ، وعظيم خلقها ، إن كنتم تؤمنون بالدلائل العقلية أو النقلية .  
وصفة القول : إن الأدلة تظاهرت على وجوب الإيمان بالله ورسوله ، فقد نصب

في الكون ما يرشد إلى وجوده ، وأرسل الرسل يدعون إلى ذلك ، وأقاموا البراهين على صدق ما يقولون ، فما عذركم ، وإلام تستندون في رد هذا ؟ .  
الآن قد تبين الرشد من الغي ، وأفصح الصبح لذي عينين ، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ فهل من مدكر ؟

ثم قطع عليهم الحجة وأزال معذرتهم فقال :

( هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور ، وإن الله بكم لرؤوف رحيم ) أي وهو الذي ينزل على رسوله دلائل واختجات ، ليخرجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، ومن الضلالة إلى الهدى ، ولرأفته بكم هداكم إليه على أتم وجه ، ويمكن لكم من النظر في الأنفس والآفاق .

و بعد أن ونجهم على ترك الإيمان ، ونجهم على ترك الإنفاق ، وأبان أنه لا معذرة لهم في ذلك فقال :

( وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات الأرض ) أي وما لكم أيها الناس لا تنفقون مما رزقكم الله في سبيله ؟ وأموالكم صائرة إليه إن لم تنفقوها في حياتكم ، لأن له ما في السموات والأرض ميراثا .

وإخلاصة — أنفقوا أموالكم في سبيل الله ، ليكون ذلك ذخرا لكم عند ربكم قبل أن تموتوا فلا تقدروا على ذلك ، إذ تصير الأموال ميراثا لمن له السموات والأرض . ثم بين تفاوت درجات المنفقين على حسب تفاوت أحوالهم في الإنفاق فقال :

( لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ) أي لا يستوى من آمن وهاجر وأنفق ماله في سبيل الله قبل فتح مكة ، ومن أنفق من بعد الفتح — ذلك أنه قبل فتحها كان الناس في جهد وضيق ولم يؤمن إذ ذاك إلا الصديقون ، أما بعد الفتح فقد انتشر الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ومن ثم قال :

( أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ) .

قال قتادة : كان قتالان أحدهما أفضل من الآخر ، ونفتان إحداهما أفضل من الأخرى ، كان القتال والنفقة من قبل فتح مكة أفضل من النفقة والقتال بعد ذلك . (وكلا وعد الله الحسنى ) أى وكل من المنفقين قبل الفتح وبعده لهم ثواب على ما عملوا ، وإن كان بينهم تفاوت في مقدار الجزاء كما قال في آية أخرى « لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى ، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » .

أخرج أحمد عن أنس قال : « كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف كلام ، فقال خالد لعبد الرحمن : تستطيون علينا بأيام سبقتمونا بها ؟ فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال : دعوا لى أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أنفقتم مثل أحد أو مثل الجبال ذهباً ما بلغت أعمالهم » .

وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما من حديث أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاتسبوا أصحابى ، فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدكم ولا نصيفه » . ثم وعد وأعد فقال :

( والله بما تعملون خبير ) أى والله عليم بظواهر أحوالكم وبواطنها ، فيجازيكم بذلك ، ولخبرته تعالى بكم فضل أعمال من أنفق من قبل الفتح وقاتل على من أنفق بعده وقاتل ، وما ذاك إلا لعلمه بإخلاص الأول في إنفاقه في حال الجهد والضيقة . ولأبى بكر الصديق الحظ الأوفر من هذه الآية ، فإنه سيد من عمل بها ، إذ أنفق ماله كله ابتغاء وجه الله ، ولم يكن لأحد عنده من نعمة يجزيه بها .

ثم نذب إلى الإنفاق في سبيله ، ووجه على تركه فقال : ( من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم ) أى من هذا

الذي ينفق أمواله في سبيل الله محتسباً أجره عند ربه ، فيضاعف له ذلك القرض ، فيجعل له بالحسنة الواحدة سبعمائة ، وله بعد ذلك جزاء كريم بثبوته بالجنة ؟ .

وعن ابن مسعود قال : « لما نزلت هذه الآية : « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ؟ » قال أبو الدحداح الأنصاري يا رسول الله وإن الله يريد منا القرض ؟ قال نعم يا أبا الدحداح ، قال : أرني يدك يا رسول الله ، قال : فناوله يده ، قال : إني أقرضت ربي حائطي ( بستاني ) وكان له حائط فيه ستائة نخلة ، وأم الدحداح فيه وعيالها ، قال أبو الدحداح فناداها يا أم الدحداح ، قالت لبيك ، قال اخرجي فقد أقرضته ربي عز وجل ، قالت له : ربح بيعك يا أبا الدحداح ونقلت منه متاعها وصبيانها ، فقال رسول الله : كم من عذق رداح في الجنة لأبي الدحداح « وهذا الأسلوب يستعمل في الأمر العزيز النادر فيقال : من ذا الذي يفعل كذا ، إذا كان أمراً عظيماً ، وعلى هذا جاء قوله : « مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » .

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ  
وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا  
ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ  
آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا  
فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ  
الْعَذَابُ (١٣) ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ، ولكنكُم قتلتم  
أنفُسكُم وترَبصتُم وأزبتم وعزتكم الأمانى حتى جاء أمر الله

وَعَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْعَرُورُ (١٤) فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، مَاؤَاكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبئسَ الْمَصِيرُ (١٥) .

## شرح المفردات

المراد بالنور هنا: ما يوجب نجاتهم وهدايتهم إلى الجنة من علم وعمل ، بشرآكم : أى ماتبشرون به ، انظرونا : أى انتظرونا ، وأصل الاقتباس طلب القبس : أى الجذوة من النار ، والسور : الحاجز ، من قبلة : أى جهته ، بلى : أى كتمت معنا ، فتمت أنفسكم : أى أهلكتموها بالمعاصى والشهوات ، وتر بصتم : أى انتظرتم بالمؤمنين مصائب الزمان ، وارتبتم : أى شككتم فى أسر البعث ، والأمانى : الأباطيل من طول الآمال والطمع فى انتكاس الإسلام واحداها أمنية ، والغرور (بالفتح) الشيطان ، والفدية والفداء : ما يبذل لحفظ النفس أو المال من الهلاك ، مأواكم : أى منزلكم الذى تأوون إليه ، مولاكم : أى أولى بكم ، والمصير : المآل والعاقبة .

## المعنى الجملى

بعد أن أمر بالإيمان والإنفاق فى سبيل الله ، وحث على كل منهما بوجود موجباته؛ فحث على الإيمان بوجود الأسباب التى تساعد عليه وهى وجود الرسول بين أظهرهم ، وكتابه الذى يتلى بين أيديهم ، وحث على الإنفاق فأبان أن المال إنما هو مال الله وهو عارية بين أيديهم ثم يرد إليه ، وأسلم يبالغون على إنفاقه الأجر العظيم فى جنات النعيم ، ثم ذكر أن المنفقين أول الإسلام لهم من الأجر أكثر ممن أنفقوا من بعد حين كثير النصير والمعين - ذكر هنا حال المؤمنين المنفقين يوم القيامة ، فبين أن نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يرشدهم إلى الجنة ، وأنهم يبشرون بجنات تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها أبدا ، ثم أردفه بذكر حال المنافقين إذ ذاك ، وأنهم يطلبون من المؤمنين

شيئا من الضوء يستنبرون به ليهديهم سواء السبيل ، فيتمم بهم المؤمنون ويحييون  
 أمالهم ويقولون لهم : ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل العلوم والمعارف ، فلا نور  
 إلا منها ، ثم أرشد إلى أنه يضرب بين الفريقين حاجز باطنه مما يلي المؤمنين فيه الرحمة ،  
 ومما يلي المنافقين فيه العذاب ، لأنه في النار ، ثم ذكر السبب فيما صاروا إليه ، وهو أنهم  
 أهلكوا أنفسهم بالنفاق والمعاصي ، وانتظروا أن تدور على المؤمنين الدوائر ، فينطفئ  
 نور الإيمان ، وشكوا في أمر البعث وغرهم الشيطان فأوقعهم في مهاوى الردى ، ثم أعقبه  
 ببيان أنه لا أمل في النجاة لهم إذ ذاك ، فلا تجدى القدية كما كانت تنفع في الدنيا ،  
 فلا مأوى لهم إلا النار وبئس القرار .

### الإيضاح

( يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ) أى لهم  
 الأجر الكريم حين ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى بين أيديهم ما يكون السبب  
 في نجاتهم وهدايتهم إلى سبيل الجنة من العلوم التي كلوا بها أنفسهم في الدنيا  
 كالاتقاد بالتوحيد وخلع الأنداد والأوتان ، والأعمال الصالحة التي زكوا بها  
 أنفسهم ، وبها أختبوا إلى ربهم وأناجوا إليه مخلصين له الدين ، وبأيمانهم تكون  
 كتبهم كما جاء في آية أخرى : « فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَنْقَلِبُ إِلَى  
 أَهْلِهِ مَسْرُورًا » .

( بشرناكم اليوم بجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ) أى وتقول لهم  
 للملائكة : أبشروا بجنات تجري من تحتها الأنهار جزاء وفاقا لما قدمتم من صالح  
 الأعمال ، وجاهدتم به أنفسكم في ترك الشرك والآثام ، وكنتم تذكرون الله بالليل  
 والناس نيام ، فطوبى لكم وهنيئا بما علمتم .  
 ونحو الآية قوله : « وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ  
 بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ » .

( ذلك هو الفوز العظيم ) أى وذلك الخلود فى الجنات التى سمعتم أوصافها هو النجاح العظيم الذى كانوا يطلبونه بعد النجاة من عقاب الله .  
وبعد أن ذكر حال المؤمنين فى موقف القيامة أتبعه ببيان حال المنافقين فقال :  
( يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم ) أى فى هذا اليوم يقول المنافقون والمنافقات : أيها الذين نجوتم بإيمانكم بربكم وفوتتم برضوانه حتى دخلتم فسيح جناته ، انظروا نلحق بكم ونقتبس من نوركم حتى نخرج من ذلك الظلام الدامس ، والعذاب الأليم الذى نحن مقبلون عليه ، فيجأون بما يحيب آمالهم ويلحق بهم الحسرة والندامة كما قال :

( قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ) أى ارجعوا من حيث أتيتم ، واطلبوا لأنفسكم هناك نورا ، فإنه لا سبيل إلى الاقتباس من نورنا الذى كان بما قدمنا لأنفسنا وادخرنا لها من عمل صالح ، فَأَيُّهَاَّتْ أَيُّهَاَّتْ أَنْ تَنَالُوا نورا إِذْ لَا يَنفَعُ المرءَ حينئذِ إِلاَّ عمله ، والله در القائل :

صاح هل ريت أو سمعت براعاً ردد في الضرع ما قرى في الحلاب  
ولا يخفى ما فى هذا من التهمك بهم ، والاستهزاء بطلبهم ، كما استهزأوا بالمؤمنين فى الدنيا حين قالوا آمناء ، وما هم بمؤمنين ، وذلك ما عناه سبحانه بقوله :  
« اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ » أى حين يقال لهم : « ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا » .  
ثم ذكر ما يكون بعد هذه المقالة فقال :

( ف ضرب بينهم بسورله باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ) أى ف ضرب بين الفريقين حاجز جانبه الذى يلى مكان المؤمنين وهو الجنة فيه الرحمة ، وجانبه الذى يلى المنافقين وهو النار فيه العذاب .  
ثم أرشد إلى ما يكون من المنافقين حينئذ فقال :  
( ينادونهم ألم نكن معكم ؟ قالوا بلى وكنتم أنفسكم فتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغرتم بالله الغرور ) أى ينادى المنافقون المؤمنين :

أَمَا كُنَّا مَعَكُمْ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا نُنصِلِي مَعَكُمْ الْجَمَاعَاتِ ، وَنَقِفُ مَعَكُمْ بِعَرَفَاتٍ ، وَنَحْضُرُ مَعَكُمْ الْغُرُزَاتِ ، وَنُؤَدِي مَعَكُمْ سَائِرَ الْوَاجِبَاتِ ؟ فَيَجِيبُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ قَائِلِينَ لَهُمْ : بَلَى كُنْتُمْ مَعَنَا ، وَإِسْكَنْتُمْ أَهْلَكْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاللَّذَاتِ وَالْمَعَاصِي ، وَأَخْرَجْتُمُ التَّوْبَةَ ، وَشَكَّكْتُمْ فِي أَمْرِ الْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَغَرَّكُمُ الْأَمَانِيُّ ، فَقَلْتُمْ سَيُغْفَرُ لَنَا ، وَمَا زَلْتُمْ كَذَلِكَ حَتَّى حَضَرْتُمُ الْمَوْتَ ، وَغَرَّكُمُ الشَّيْطَانُ فَقَالَ لَكُمْ : إِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ كَرِيمٌ لَا يَعْذِبُكُمْ . وَالْخِلَاصَةَ — إِنَّكُمْ كُنْتُمْ مَعَنَا بِأَبْدَانِكُمْ لَا بِقُلُوبِكُمْ ، وَكُنْتُمْ فِي حَيْزَةٍ مِنْ أَمْرِكُمْ ، فَلَا تَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا . ثُمَّ أَيَأْسُوهُمْ مِنْ عَاقِبَةِ أَمْرِهِمْ ، وَأَنْتُمْ هَالِكُونَ لَا مَحَالَةَ . وَلَا سَبِيلَ إِلَى الْخِلَاصِ مِنَ النَّارِ فَقَالَ :

( فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ، مَا أَوْأَكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبئْسَ الْمَصِيرُ ) أَى فَالْيَوْمَ لَوْ جَاءَ أَحَدُكُمْ بِمِثْلِ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدِيَ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مَا قَبِلَ مِنْهُ ، فَصَيِّرْكُمْ إِلَى النَّارِ وَإِلَيْهَا مُتَقَلِّبِكُمْ وَمَشَاكُمْ ، وَهِيَ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ كُلِّ مَنْزِلٍ آخَرَ ، لِكُفْرِكُمْ وَارْتِيَابِكُمْ ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا وَمَا آلا . وَالْخِلَاصَةَ — إِنَّهُ لَا مَنَاصَ مِنَ النَّارِ فَلَا فِدَاءَ وَلَا فَكَاكَ مِنْهَا .

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ، وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ ، فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٧) .

### شرح المفردات

أَلَمْ يَأْنِ : أَلَمْ يَأْنِ : أَلَمْ يَجِئْ وَقْتُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ أُنَى الْأَمْرِ أَنْبِيَاءُ وَإِنَاءُ وَإِنَاءٌ إِذَا جَاءَ أَنَاةُ أَى وَقْتُهُ ، وَالْخَشوعُ : الْخُشْيَةُ وَالْخُوفُ ، وَذَكَرَ اللَّهُ مَوَاعِظَهُ ، وَالْحَقُّ : هُوَ الْقُرْآنُ ، وَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ : هُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، وَالْأَمَدُ : الزَّمَانُ ، وَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ

أى طال عليهم العهد بينهم وبين أنبيائهم ، فقسست قلوبهم : أى صلبت وصارت كالخجارة أو أشد قسوة ، فاسقون : أى خارجون عن حدود دينهم رافضون لما جاء فيه من أوامر ونواه ، والأرض الميتة : هى التى لا تنبت شيئاً ، والآيات : هى البينات والحجج ، تعقلون : أى تتدبرون .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر فرق ما بين المؤمنين والمنافقين يوم القيامة ، وأن الأولين لهم نور يهديهم إلى طريق الجنة ، وأن الآخرين يطلبون منهم أن يأتوهم قبسا من نورهم يهديهم إلى سبيل النجاة ، فيردونهم خائبين ، ويقولون لهم : ارجعوا وراكم فالتمسوا نورا - أردف هذا بعبارة قوم من المؤمنين ففترت همهم عن القيام بما ندبوا له من الخشوع ، ورقة القلوب بسماع المواعظ وسماع القرآن ، ثم حذرهم أن يكونوا كأهل الكتاب الذين طال العهد بينهم وبين أنبيائهم فقسست قلوبهم وأعرضوا عن أوامر الدين ونواهيها ، ثم أبان لهم بضر المثل أن القلوب القاسية تحيا بالذكر وتلاوة القرآن كما تحيا الأرض الميتة بالغيث والمطر .

روى عن ابن مسعود أنه قال : « لما قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأصابوا من لين العيش ما أصابوا بعد أن كانوا في جهد جهيد ، فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا فنزلت الآية » .  
وعن ابن عباس أنه قال : « إن الله استبطن قلوب المهاجرين فعانهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال : ألم يأن للذين آمنوا الآية » .

### الإيضاح

( ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ) أى أملا أن المؤمنين أن ترق قلوبهم عند سماع القرآن والمواعظ ، ورفعهم وتثباتهم ، وتطبيع أوامرهم ، وتنتهي عن نواهيهم ، ويؤمنوا بالآيات والبراهين .

وإذا كان المؤمنون قد أصابهم الوهن ولم يمض على الإسلام أكثر من ثلاث عشرة سنة كما قال ابن عباس ، فما بالنا اليوم وقد مضى عليهم أكثر من ثلاثة عشر قرناً ، فتعبرها عن حالهم الآن بالأولى ، فالوهن الآن أضعاف مضاعفة عما كان في تلك الحقبة ، ومن ثم أفرط الفَرَجِيَّة في إذلالهم واستعبادهم ، وصاروا غرباء في ديارهم ، والأمر والنهي فيها لسواهم :

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيْبُ نَبِيُّهُ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ وَهُمْ شُهُودٌ

ثم حذرهم أن يكونوا كأهل الكتاب قبلهم فقال :

( ولا يكونوا كالذين أتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ) أى لا يتشبهوا بالذين حُملوا الكتاب من قبلهم من اليهود والنصارى حين طال الأمد بينهم وبين أنبيائهم ، فقست قلوبهم ولم تقبل موعظة ولم يؤثر فيها وعد ولا وعيد ، وبدلوا كتاب الله الذى بأيديهم واشتروا به ثمناً قليلاً ، وتبدوه وراء ظهورهم ، وأقبلوا على الآراء المختلفة ، والأقوال المتنسكة ، وقلدوا في دين الله دون دليل ولا برهان ، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، وكثير منهم خرج عن أمر الدين فى الأعمال والأقوال كما قال « فَمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ». أى فسدت قلوبهم نقست وصار سجعيتهم تحريف الكلم عن مواضعه ، فتركوا الأعمال التى أمروا بها ، واجتروا ما نهوا عنه .

والخلاصة — إن الله نهى المؤمنين أن يكونوا حين سماع القرآن غير متدبرين . موعظه كاليهود والنصارى الذين قست قلوبهم ، لما طال العهد بينهم وبين أنبيائهم .

ثم ضرب للمثل لتأثير الموعظ وتلاوة القرآن فى القلوب فقال :

( اعلّموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون )

أى إن الله تعالى يلين القلوب بعد قسوتها ، ويهدى النفوس الحيارى بعد ضللتها ،

ويفرّج الكرب بعد شدتها ، يبراهين القرآن ودلائله ، وبالمواعظ والنصائح التي تلين الصخر الأعمى ، ويحييها بعد موتها كما يحيي الأرض الهامدة المجذبة بالغيث الوابل الهتّان ، وقد ضرب لكم الأمثال كي تتدبروا وتكمل عقولكم ؛ فسبحان الهادي لمن يشاء بعد الضلال ، والمضل لمن أراد بعد السكال ، وهو الفعال لما يشاء ، الحسك العدل في جميع الفعال ، اللطيف الخبير المتعال .

إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ  
وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ  
وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا  
بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (١٩) .

### شرح المفردات

المصدقين : أى المتصدقين بأموالهم على البائسين وذوى الحاجة ، والقرض الحسن : هو الدفع بنيسة خالصة ابتغاء مرضاة الله ، لا يريدون جزاء ممن أعطوه ، يضاعف لهم : أى يضاعف الله لهم ثواب أعمالهم ، والصديق : من كثر منه الصدق وصار سجية ، والشهداء من قتلوا فى سبيل الله ، واحدهم شهيد .

### المعنى الجملى

بعد أن وازن بين المؤمنين والمنافقين فيما مضى ، وأبان ما يكون بينهما من فارق يوم القيامة - ذكر هنا التفاوت بين حال المؤمنين وحال الكافرين .

## الإيضاح

(إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم) أى إن المتصدقين والمتصدقات بأموالهم ابتغاء مرضاة الله ، لا يريدون جزاء ولا شكورا - يضاعف لهم ربهم ثواب إنفاقهم فيقابل الحسنة الواحدة بعشر أمثالها ، ويضاعف ذلك إلى سبعمائة ضعف ، ولهم ثواب جزيل ومرجع صالح .

(والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون) أى والذين أقرؤا بوحداية الله وصدقوا رسله ، وآمنوا بما جاءهم به من عند ربهم ، أولئك هم في حكم الله بمنزلة الصديقين .

(والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم) أى والذين استشهدوا في سبيل الله لهم أجر جزيل ونور عظيم يسمى بين أيديهم ، وهم في ذلك يتفاوتون على حسب ما كانوا في الدار الدنيا من الأعمال .

والخلاصة — إن العاملين أقسام : فمنهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون كما قال تعالى : « وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ » .

ولما ذكر السعداء وما لهم أوردف ذلك بذكر حال الأشقياء فقال :

(والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) أى والذين كفروا بالله وكذبوا بحججه وبراهينه الباطلة على وحدانيته وصدق رسله أولئك هم أصحاب النار خالدون فيها أبدا بحيث لا يفارقونها .

أَعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَمَبٍ وَهَوًى وَزِينَةً وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ  
وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ لِلَّهِ

يَهَيِّجُ قَتْرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ، وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ  
 وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ، وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَاعٌ الْعُرُورِ (٢٠)  
 سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ  
 أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ  
 ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) .

### شرح المفردات

اللب : ما لا ثمرة له كلب الصبيان ، واللهو : ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه ،  
 وزينة : أى كالملابس الفاخرة ، وتفاخر : أى بالأنساب والعظام البالية ، وتكاثر  
 فى الأموال والأولاد : أى مباهاة بكثرة العدد والعدد ، والغيث : المطر ، والسكفار  
 الزراع ، يهيج : أى يبتدىء فى اليبس والجفاف بعد أن كان أخضر ناضرا ، حطاما :  
 أى هشيا متكسرا من ييبسه ، والغرور : الخديعة .

### المعنى الجملى

بعد أن بشر المؤمنين بأن نورهم يوم القيامة يسعى بين أيديهم و بإيمانهم ،  
 وحشهم على بذل الجهد وترك الغفلة ، وذكر ثواب المتصدقين والمتصدقات - أردف  
 ذلك بوصف حال الدنيا وسرعة زوالها وتقضيها ، وضرب لذلك مثل الأرض ينزل  
 عليها المطر فتنبت الزرع البهيج الناضر الذى يعجب الزراع لتمامه وجوده غلته ،  
 وبينما هو على تلك الحال ، إذا به يصفر بعد النضرة والخضرة ويجف ثم يتكسر  
 ويتفتت ، وما الحياة الدنيا إلا مزرعة الآخرة ، فمن أجاد زرعه حصد وريح ، ومن  
 اتوان وكسل ندم ولات ساعة مندم .

قال سعيد بن جبير: الدنيا متاع الغرور إذا أهلك عن طلب الآخرة، فأما إذا دعيتك إلى طلب رضوان الله وطلب الآخرة فندم المتاع ونعم الوسيلة .  
ثم حث على عمل ما يوصل إلى مغفرة الله ورضوانه ، ويمهد إلى الدخول في جنات عرضها السموات والأرض ، أعدها لمن آمن به وبرزله فضلا منه ورحمة وهو المنعم عظيم الفضل .

### الإيضاح

( اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد ) أى اعلموا أيها الناس أن متاع الدنيا ما هو إلا لعب ولهو تتفكحون به ، وزينة تتزينون بها ، وبها يفخر بعضكم على بعض ، وتتباهون فيها بكثرة الأموال والأولاد .

ثم ضرب مثلا يبين أنها زهرة فانية ، ونعمة زائلة فقال :

( كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما )  
أى ما مثل هذه الحياة في سرعة فنائها وانقضائها على عجل إلا مثل أرض أصابها مطر وابل ، فأنبثت من النبات ما أعجب الزراع وجعلهم في غبطة وحبور ، وبهجة وسرور ، وبيننا هو على تلك الحال إذا هو يوصوح ويأخذ في الجفاف واليبس ، ثم يكون هشيما تذروه الرياح .

ونحو الآية قوله : « وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ ، حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْن بِالْأَمْسِ » .

ثم ذكر عاقبة المهتكين فيها الطالبين لتحصيل لذاتها ، المتهالكين في جمع حطامها ، والمعرضين عنها الطالبين لرضوان ربهم فقال :

( وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ) أى وفي الآخرة إما عذاب شديد دائم لمن انهمك في لذاتها ، وأعرض عن صالح الأعمال ، ودمى نفسه بالشرك والآثام ، وإما مغفرة من الله ورضوان من لدنه لمن زكى نفسه وأخبت إلى ربه وأتاب إليه :

قدّم لرجلك قبل الخطو موضعها فمن علا زلقا عن غرّة زلجا

( وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ) أى وما هذه الحياة الدنيا إلا متاع فإنه زائل خادع من ركن إليه واعتزّ به وأعجبه حتى اعتقد أن لدار سواها ، ولا معاد وراءها .

ولما أبان أن الآخرة قريبة وفيها العذاب الأليم ، والنعيم المقيم - حث على المبادرة إلى فعل الخيرات فقال :

( سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ) أى سابقوا أقرانكم في مضار الأعمال الصالحة ، وأدوا ما كلفتم به من أوامر الشريعة واركبوا نواهيها - يدخلكم ربكم بما قدمتم لأنفسكم ، الجنة سعتها كسعة السموات والأرض .

ثم بين المستحقين لها فقال :

( أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ) أى هيئت للذين اعترفوا بوحداية الله وصدقوا رسوله .

ثم بين أن هذا فضل منه ورحمة فقال :

( ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ) أى هذا الذى أعده الله لهم هو من فضله ورحمته ومنته عليهم .

وفي الصحيح « أن فقراء المهاجرين قالوا: يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور ( الأموال ) بالأجور والدرجات العلى والنعم المقيم ، قال وما ذاك ؟ قالوا يضلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا تتصدق ويعتقون ولا نعتق ، قال : أفلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتكم من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، قال : فرجعوا فقالوا سمع إخواننا أهل الأموال ما فعلنا ففعلوا مثله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . »

( والله ذو الفضل العظيم ) أى والله واسع العطاء عظيم الفضل ، فيعطى من يشاء ما شاء كرمًا منه وفضلا ، ويبسط له الرزق فى الدنيا ، ويهب لهم النعم ، ويعرفهم مواضع الشكر ، ثم يجزيهم فى الآخرة ما أعده لهم مما وصفه قبل .

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) اِكْتِيَلًا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) الَّذِينَ يَمْخُلُونَ بِمَأْمُرُونَ النَّاسِ بِالْبُخْلِ ، وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْجَمِيدُ (٢٤)

### شرح المفردات

فى الأرض : أى كالجذب والفاقة واحتلال الأجانب الظلمين ، واستيلاء الحكام الفاسقين ، فى أنفسكم : أى كالمرض والفاقة ، فى كتاب : هو اللوح المحفوظ ، نبرأها : أى نخلقها ، وتأسوا : أى تحزنوا ، ما فاتكم : أى من نعم الدنيا ، ما آتاكم :

أى ما أعطاكم ، والختال : المتكبر بسبب فضيلة تراى له من نفسه ، والفخور : هو المباهى بالأشياء العارضة كالمال والجاه .

## المعنى الجملى

بعد أن أبان أن متاع هذه الدنيا زائل فان ، وأن ما فيها من خير أو شر لا يدوم - أردف ذلك تبهوين للمصائب على المؤمنين ، فذلك يكون مصدر سعادة نفوسهم وأطمئنانها ، وبدونه يكون شقاؤها وكآبتها ، وآية ذلك أن لا تخزن على فائت ، ولا تفرح بما يصل إليها من لذاتها الفانية .

ثم بين أن المختالين الذين يبخلون بأموالهم على ذوى الحاجة والبائسين ، ويأمرون الناس بذلك ، ويعرضون عن الإئفاق فلا يحزنن إلا على أنفسهم ، والله غنى عنهم ، وهو الحمود على نعمه التى لا تدخل تحت حد .

## الإيضاح

( ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ) أى ما أصابكم أيها الناس من مصائب فى آفاق الأرض كقحط وجذب وفساد زرع ، أو فى أنفسكم من أوصاب وأسقام - إلا فى أم الكتاب من قبل أن نبرأ هذه الخليقة .

( إن ذلك على الله يسير ) أى إن علمه بالأشياء قبيل وجودها ، وكتابته لها طبق ما توجد فى حينها - يسير عليه ، لأنه يعلم ما كان وما سيكون وما لا يكون . أخرج الحاكم وصححه عن أبى حسان : أن رجلين دخلا على عائشة رضى الله عنها فقالا إن أبا هريرة يحدث أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : إنما الطيرة فى المرأة والدابة والدار ، فقالت : والذى أنزل القرآن على أبى القاسم صلى الله عليه وسلم ما هكذا كان يقول ، كان يقول « كان أهل الجاهلية يقولون : إنما الطيرة فى المرأة



(ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد) أى ومن يعرض عن الإنفاق فلا يضرن بذلك إلا نفسه ، فالله غنى عن ماله وعن نفقته ، محمود إلى خلقه بما أنتم به عليهم من نعمه ، ولا يضيره الإعراض عن شكره كما قال موسى عليه السلام لقومه : « إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)

### شرح المفردات

البيّنات : المعجزات والحجج ، والكتاب : أى كتب التشريع ، والميزان : العدل ، والقسط : الحق ، وأنزلنا الحديد : أى خلقناه ، والبأس : القوة ، وليعلم الله أى ليعلمه علم مشاهدة ووجود فى الخارج .

### الإيضاح

( لقد أرسلنا رسلنا بالبيّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ) أى ولقد أرسلنا الأنبياء إلى أهمهم ومعهم البراهين الدالة على صدقهم ، المؤيدة لبعثهم من عند ربهم ، ومعهم كتب الشرائع التى فيها هداية البشر وصلاحهم فى دينهم ودنياهم ، وأمرناهم بالعدل ليعملوا به فيما بينهم ، ولا يظلم بعضهم بعضا . ولما كان الناس فريقين فريقا يقوده العلم والحكمة ، وفريقا يقوده السيف والعضا ، وكان ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن ، وكان العدل والقانون لا يبد له من حام بحميه وهو الدولة والملك وأعوانه والجند ، وهؤلاء لا بد لهم من عُدّة يحمون بها القانون والعدل فى داخل البلاد وفى خارجها أعقب هذا بقوله :

( وأتزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ) أى وخلقنا الحديد لتكون منه السيوف والرماح والدروع والسفن البحرية وما أشبه ذلك ، وفيها القوة التي ترغم أنف الظالم وتحمي المظلوم ، وفيه منافع للناس في حاجاتهم في معاشهم كأدوات الصناعات وحاجات البيوت وقطر السكك الحديدية ونحوها .

( وليعلم الله من ينصره ورسوله بالغيب ) أى وإما فعل ذلك ليراكم ناصري دينه باستعمال السلاح والكرّاع لمجاهدة أعدائه، وناصرى رسوله وهم غائبون عنكم لا يبصرونكم .  
 روى أحمد وأبو داود عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
 « بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلّة والصغار على من خالف أمرى ، ومن تشبه بقوم فهو منهم » .  
 ( إن الله قوى عزيز ) أى إن الله يدفع بقوته بأس من يعرض عن ملته ، وهو غالب على أمره ، لا يقدر أحد على دفع العقوبة متى أحلها بأحد من خلقه .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوءَ وَالْكِتَابَ  
 فَمِنْهُمْ مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا  
 وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ ، وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ  
 رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا ، مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ  
 اللَّهِ فَاَرَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ  
 مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) .

### شرح المفردات

قفاه : اتبعه بعد أن مضى ، والإنجيل : الكتاب الذى أنزل على عيسى وفيه شريعته ، والمراد من الرأفة : دفع الشر ، ومن الرحمة : جلب الخير ، وبهذا يكون

بينهم مودة ، والرهبانية: ترهبهم في الجبال فأرّين بدينهم من الفتنة ، مخلصين أنفسهم للعبادة ، محتملين المشاق من الخلوة واللباس الخشن والاعتزال عن النساء والتعب في الغيران والكهوف ، وقوله ابتدعوها : استحدثوها ولم تكن في دينهم ، ابتغاء رضوان الله : أى طلبا لرضاه ومحبته ، فأرعوها : أى ما حافظوا عليها .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر أنه أرسل الرسل بالبينات والمعجزات ، وأنه أنزل الميزان والحديد ، وأمر الخلق بأن يقوموا بنصرة رسله - أتبع ذلك ببيان ما أنعم به على أنبيائه من النعم الجسام ، فذكر أنه شرف نوحا وإبراهيم عليهما السلام بالرسالة ، ثم جعل في ذريتهما النبوة والكتاب ، فما جاء أحد بعدهما بالنبوة إلا كان من سلالتهما .

### الإيضاح

( ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ) أى ولقد بعثنا نوحا إلى طائفة من خلقنا ، ثم بعثنا إبراهيم من بعده لقوم آخرين ، ولم نرسل بعدهما رسلا بشرائع إلا من ذريتهما .

ثم بين أن هذه الذرية افتقرت فرقتين فقال :

( فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ) أى فمن ذريتهما مهتد إلى الحق مستبصر ، وكثير منهم ضلال خارجون عن طاعة الله ذاهبون إلى طاعة الشيطان ، مدسّون أنفسهم باجتراح الآثام .

وفي الآية إيماء إلى أنهم خرجوا عن الطريق المستقيم بعد أن تمكنوا من الوصول إليه ، وبعد أن عرفوه حق المعرفة ، وهذا أبلغ في اللمز وأشد في الاستهجان لعلمهم . ( ثم قمينا على آثامهم برسلنا ) أى ثم بعثنا بعدهم رسولا بعد رسول على توالى العصور والأيام .

ثم خص من أولئك الرسل عيسى لشهرة شريعته في عصر التنزيل ولوجود أتباعه في جزيرة العرب وغيرها فقال :

( وقفينا بعيسى بن مريم وآتيناها الإنجيل ) أى ثم أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الأمر إلى عيسى عايشه السلام ، وأعطيناها الإنجيل الذى أوحيناها إليه ، وفيه شريعته ووصاياه ، وقد جاء ما فيه مكملا لما فى التوراة ومخفقا بعض أحكامها التى شرعت تعليظا على بنى إسرائيل ، لنقضهم العهد والميثاق كما جاء فى قوله : « فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ » .

ثم بين صفات أتباع عيسى فقال :

( وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ) أى إن أتباعه الذين ساروا على نهجه وشريعته اتصفوا بما يأتى :

( ١ ) الرافة بين بعضهم وبعض ، فيدفعون الشر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، ويصلحون ما فسد من أمورهم .

( ٢ ) الرحمة فيجلب بعضهم الخير لبعض كما قال فى حق أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : « رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ » .

( ٣ ) الرهبانية المبتدعة ، فقد انقطعوا عن الناس فى القلوات والصوامع معتزلين الخلق وحرّموا على أنفسهم النساء ولبسوا الملابس الخشنة ، تبتلا إلى الله وإخباراتا إليه .

( ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ) أى ما فرضنا عليهم هذه الرهبانية ، ولكنهم استجدثوها طلبا لمرضاة الله والزلفى إليه .

ثم ذكر أنهم ما حافظوا عليها كما قال :

( فمارعوها حق رعايتها ) أى فما حافظوا على هذه الرهبانية المبتدعة ، وما قاموا

بما التزموه حق القيام ، بل ضيعوها وكفروا بدين عيسى بن مريم فضماموا إليه التثليث ودخلوا في دين الملوك الذين غيروا وبدلوا .

وفي هذا ذم لهم من وجهين :

(١) إنهم ابتدعوا في دين الله ما لم يأمر به .

(٢) إنهم لم يقوموا بما فرضوه على أنفسهم مما زعموا أنه قرينة يقربهم إلى

ربهم ، وقد كان ذلك كالتنذر الذي يجب رعايته ، والعهد الذي يجب الوفاء به .

روى ابن أبي حاتم عن ابن مسعود قال : « قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا ابن مسعود ، قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : اختلف من كان قبلنا على إحدى

وسبعين فرقة ، نجا منهم ثلاث وهلك سائرهم ، فرقة من الثلاث وازت الملوك

وقاتلتهم على دين الله ودين عيسى بن مريم صلوات الله عليه فقتلتهم الملوك ، وفرقة

لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك فأقاموا بين ظهرائي قومهم يدعونهم إلى دين الله ودين

عيسى بن مريم صلوات الله عليه ، فقتلتهم الملوك بالمناسير ، وفرقة لم تكن لهم طاقة

بموازاة الملوك ولا بالمقام بين ظهرائي قومهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى صلوات

الله عليه ، فلحقوا بالبراري والجبال فترهبوا فيها فهو قول الله عز وجل « وَرَهْبَانِيَّةً

ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ » الآية ، فمن آمن بي واتبعني وصدقني فقد رعاها

حق رعايتها ، ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الفاسقون » .

(فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ) أَي فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا

مِنْهُمْ إِيْمَانًا صَحِيحًا طُبِعَتْ آثَارُهُ فِي أَعْمَالِهِمْ ، فَزَكُوا أَنْفُسَهُمْ ، وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ ، وَأَدَّوْا

فَرَائِضَهُ - أَجْرُهُمُ الَّتِي اسْتَحَقُّوهَا كِفَاءً مَا عَمَلُوا ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسَقُوا عَنْ أَمْرِ اللَّهِ ،

وَاجْتَرَحُوا الشَّرَّ وَالْآثَامَ ، وَظَهَرَ فَسَادُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيهِمْ ،

فَسَكَبُوا فِي النَّارِ وَبَاءُوا بِغَضَبِ اللَّهِ ، وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ .

يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٨) لَثَلَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩) .

### شرح المفردات

قال المؤرِّج السدوسى : الكفل : النصيب بلغة هذيل ، وقال غيره بل بلغة الحبشة ، وقال المفضل الضبي : أصل الكفل كساء يديه الراكب حول سنام البعير ليتمكن من القعود عليه ، لثلا يعلم : أى لكى لا يعلم .

### المعنى الجملى

بعد أن ذكر سبحانه أن من آمنوا من أهل الكتاب إيماناً صحيحاً لهم أجرهم عند ربهم - ذكر هنا أن من آمنوا منهم بعبسى أولاً وبمحمد صلى الله عليه وسلم ثانياً يؤتوهم أجرهم مرتين ، لإيمانهم بنبيهم ، ثم بمحمد من بعده ، ثم ذكر أن النبوة فضل من الله ورحمة منه لا يخص به قوماً دون قوم ، فهو أعلم حيث يجعل رسالته ، لا كما يقول اليهود : إن الوحي والرسالة فينا لاتعدونا إلى سوانا ، فنحن شعب الله المختار ، ونحن أبناء الله وأحباؤه .

### الإيضاح

(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم) أى أيها الذين صدقوا الله ورسوله من

أهل الكتابين التوراة والإنجيل - خافوا الله بأداء طاعته واجتناب معاصيه وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم - يعظكم ضعفين من الأجر ، لإيمانكم بيسى والأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم ثم بإيمانكم بمحمد بعد أن بُعث نبيا ، ويجعل لكم هدى تستبصرون به من العمى والجهالة ، ويغفر لكم ما أسلفتم من الذنوب وما فرطتم في جنب الله ، والله واسع المغفرة لمن يشاء ، رحيم بعباده يقبل توبتهم - متى أنابوا إليه ، وخشعت له قلوبهم .

والخلاصة - إنه تعالى وعد المؤمنين برسوله بعد إيمانهم بالأنبياء قبله بأمر ثلاثة :

(١) أنه يضاعف لهم الأجر والثواب .

(٢) أن يجعل لهم نورا بين أيديهم وعن شمائلهم يوم القيامة يهديهم إلى الصراط السوي ويوصلهم إلى الجنة .

(٣) أن يغفر لهم ما اجتروا من الذنوب والآثام .

روى الشعبي عن أبي بريدة عن أبيه عن موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعقها وتزوجها فله أجران » .  
رواه البخاري ومسلم .

ثم رد على أهل الكتاب الذين خصوا فضل الرسالة بهم فقال :

( لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدر على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ) أى فعلنا ذلك ليعلم أهل الكتاب أنهم لا يبالون شيئا من فضل الله من الأجرين ولا يتمكنون من نياله ما لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وخلاصة ذلك — إن إيمانهم بنبيهم لا ينفعهم شيئا ما لم يؤمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم .

أخرج ابن أبي حاتم قال لما نزلت « أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا » نغز مؤمنو أهل الكتاب على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : لنا أجران ولكم أجر ، فاشتد ذلك على أصحابه فأنزل الله « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا » الآية فجعل لهم أجرين وزادهم النور .

(والله ذو الفضل العظيم) أى والله واسع الفضل كثير العطاء ، يمنحه من شاء من عباده لا يحرص به قوما دون آخرين ، ولا شعبا دون آخر .  
سبحانك قسمت حظوظك بين عبادك بمقتضى عدلك وفضلك ، وآتيتهم فوق ما يستحقون بجدك وكرمك . فاللهم آتنا من لدنك الرشد والتوفيق ، واهدنا لأقوم طريق .

### خلاصة ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة

- (١) صفات الله وأسمائه الحسنى ، وظهور آثاره في بدائع خلقه .
- (٢) الحض على الإنفاق .
- (٣) بشرى المؤمنين بالنور يوم القيامة .
- (٤) ثواب المتصدقين الذين أقرضوا الله قرضا حسنا .
- (٥) ذم الدنيا وأنها لهو وهب .
- (٦) الترغيب فى الآخرة وتشهير العزيمة للعمل لها .
- (٧) التسلية على المصائب .
- (٨) ذم الاختيال والفخر والبخل .

(٩) الحث على العدل .

(١٠) الاعتبار بالأمة السالفة .

(١١) قصص نوح وإبراهيم .

(١٢) إن أهل الكتاب الذين آمنوا برسولهم وآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم

يضاعف لهم الأجر عند ربهم .

(١٣) الله يصطفى من رساله من يشاء ، فهو أعلم حيث يجعل رسالته .

وكان الفراغ من مسودة هذا الجزء بمدينة حلوان من أرباض القاهرة كورة

الديار المصرية في صبيحة يوم الجمعة لتسع بقين من رجب الأصم من سنة خمس وستين

بمد الثمانمائة والألف من هجرة سيد ولد عدنان ، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .